# التفاعل بين البنية الصرفية والنحو الوظيفي في اللغة العربية: دراسة لسانية تطبيقية

# The Interaction between Morphological Structure and Functional Grammar in the Arabic Language: An Applied Linguistic Study


**م.م. هند ابراهيم ناجي طه**

**Hind Ibrahim Naji Taha**

**المديرية العامة لتربية ديالى**

**The General Directorate of Education in Diyala**

**E-mail: Hazohasan7@gmail.com**



**الكلمات المفتاحية: البنية الصـــرفية، النحو الوظيفي، الوظيفة التمثيلية، الوظيفة التفاعلية، الوظيفة النصية، الصيغ الصرفية، اسم المفعول، الصفات المشبهة، التحليل الوظيفي.**

**Keywords: Morphological structure, functional grammar, ideational function, interpersonal function, textual function, morphological patterns, passive participle.**

## الملخص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف طبيعة التفاعل الدينامي بين البنية الصرفية والنحو الوظيفي في اللغة العربية، باعتبار أن اللغة ليست نظامًا شكليًّا جامدًا، بل كيانًا تواصليًّا حيًّا يُولّد المعنى عبر تفاعل الشكل مع السياق. وقد اعتمد البحث على منهج تحليلي تطبيقي، مستندًا إلى مجموعة من الدراسات الحديثة التي تربط بين الصرفيات والوظائف التداولية، مع توظيف نماذج من القرآن الكريم، والشعر العربي الحديث، والنثر الكلاسيكي كفضاءات تطبيقية. وقد توصّل البحث إلى عدة نتائج جوهرية: أولًا، أن البنية الصرفية في العربية — رغم طابعها النظامي والمعياري — ليست ثابتة الدلالة، بل قابلة للتفعيل وفق السياق التداولي. ثانيًا، أن الصيغ الصرفية (كأوزان اسم الفاعل، والمفعول، والمبالغة، والصفات المشبهة) تؤدي وظائف نحوية متعددة: تمثيلية (لتمثيل الواقع)، تفاعلية (لإدارة العلاقة بين المتكلم والمخاطب)، ونصية (لتنظيم الترابط الخطابي). ثالثًا، أن النحو الوظيفي لا يُعدّ منهجًا غريبًا عن روح العربية، بل أداة تحليلية قادرة على تفسير ظواهر لغوية عجز عنها النحو التقليدي، خصوصًا في النصوص ذات الكثافة الدلالية كالقرآن والشعر. وقد بيّن التحليل التطبيقي أن الآية القرآنية "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" لا تكتفي بوصف أخلاقي، بل تبني علاقة تفاعلية داعمة في سياق الهجاء والاتهام. كما كشف تحليل قصيدة "مأساة الثامن ماي ١٩٤٥" أن استخدام صيغة "المفعول" (مثل: "مقتول"، "مهان") ليس وصفًا لحالة ماضية، بل تمثيلًا وجوديًّا للضحية ككائن منزوع الفاعلية. بالإضافة إلى ذلك، أظهرت دراسة رسائل الجاحظ أن البنية الصرفية تتفاعل مع الإعراب لتحديد الوظيفة النحوية والدلالة السياقية، كما في عبارة "رجلٌ مُهانٌ." وفي ضوء هذه النتائج، يقترح البحث دمج البُعد الوظيفي في مناهج تدريس النحو والصرف العربية، وتشجيع الدراسات التطبيقية التي تربط بين البنية الصرفية والسياق التداولي، سواء في الخطاب الديني، الأدبي، الإعلامي، أو حتى العامي. وبهذا، يصبح فهم اللغة العربية فهمًا لرؤية العالم التي تشكّلها، لا مجرد حفظ قواعد.

## Abstract

This research aims to explore the dynamic interaction between morphological structure and functional grammar in Arabic, considering language not as a rigid, formal system, but as a living, communicative entity that generates meaning through the interaction of form with context. The research employs an applied analytical approach, drawing on a range of recent studies that link morphology and pragmatic functions, and utilizing examples from the Holy Quran, modern Arabic poetry, and classical prose as case studies. The research arrives at several key findings: First, that Arabic morphological structure—despite its systematic and normative nature—is not semantically fixed, but rather capable of being activated according to the pragmatic context. Second, that morphological forms (such as the patterns of the active participle, the passive participle, the intensive form, and the adjectival adjectives) perform multiple grammatical functions: representational (to represent reality), interactive (to manage the relationship between speaker and listener), and textual (to organize discursive coherence). Third, functional grammar is not an approach alien to the spirit of Arabic, but rather an analytical tool capable of explaining linguistic phenomena that traditional grammar cannot, especially in texts with high semantic density such as the Quran and poetry. Applied analysis has shown that the Quranic verse "And indeed, you are of a great moral character" (88:4) does not merely describe a moral quality, but also establishes a supportive, interactive relationship within a context of denunciation and accusation. Furthermore, the analysis of the poem "The Tragedy of May 8, 1945" revealed that the use of the passive participle (such as "killed" or "humiliated") is not a description of a past state, but rather an existential representation of the victim as a powerless being. In addition, a study of al-Jahiz's letters demonstrated that morphological structure interacts with inflection to determine grammatical function and contextual meaning, as in the phrase "a humiliated man." In light of these findings, the research proposes integrating the functional dimension into Arabic grammar and morphology curricula, and encouraging applied studies that link morphological structure to pragmatic context, whether in religious, literary, media, or even colloquial discourse. In this way, understanding Arabic becomes understanding the worldview it shapes, rather than simply memorizing rules.

**المقدمة**

تُعَدّ اللغة العربية من أكثر اللغات غنىً من ناحية البنية الصرفية، حيث تحتوي على أنماط إعرابية وصيَغ مشتقة تُعبِّر عن وظائف نحوية ودلائل دلالية دقيقة. وفي المقابل، يُعَدّ النحو الوظيفي من أبرز التيارات اللسانية الحديثة التي تسعى إلى ربط البنية اللغوية بوظيفتها التواصلية في السياق. ومن هذا المنطلق، يبرز تساؤل محوري: كيف تتفاعل البنية الصرفية في اللغة العربية مع المبادئ الوظيفية للنحو في إنتاج المعنى؟ ولماذا تُعدّ هذه العلاقة ضرورية لفهم الآلية التواصلية في اللغة العربية بشكل أعمق؟

يستند هذا البحث إلى فرضية رئيسية مفادها أن البنية الصرفية في اللغة العربية ليست مجرد أشكال نحوية جامدة، بل إنها تُشكِّل وحدات وظيفية ديناميكية تتفاعل مع السياق لتأدية وظائف تداولية ودلالية متعددة. ولتحقيق ذلك، يعتمد البحث على منهج تحليلي تطبيقي يستند إلى مجموعة من الدراسات السابقة التي ناقشت العلاقة بين الصرف والنحو من زاوية وظيفية، مع التركيز على النصوص القرآنية والشعرية والنثرية كفضاءات تطبيقية.

**أهمية البحث**

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسد فجوة منهجية بين النحو التقليدي والمناهج اللسانية الحديثة، خاصة النحو الوظيفي، في سياق اللغة العربية. إذ غالبًا ما يُنظر إلى الصرف كمنظومة منفصلة عن الوظيفة التواصلية، بينما يُظهر هذا البحث أن الصيغ الصرفية — مثل "فعّال"، "مفعول"، "انفعال"— ليست مجرد أوزان صرفية، بل وسائط دلالية تُفعَّل وفق السياق لتأدية وظائف نحوية متنوعة. كما أن البحث يقدّم إطارًا تحليليًّا يمكن استخدامه في تدريس النحو العربي وتحليل الخطاب الأدبي والقرآني.

**مشكلة البحث**

تكمن مشكلة البحث في غياب الدراسات التي تربط بين البنية الصرفية والنحو الوظيفي في اللغة العربية على نحو منهجي وتطبيقي. إذ يغلب على الدراسات العربية المعالجة التقليدية للصرفيات، في حين أن النحو الوظيفي لا يزال حديث العهد في الحقل اللساني العربي، وغالبًا ما يُطبَّق دون ربطه بالخصائص الصرفية الخاصة باللغة العربية. لذلك، يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن السؤال التالي:

كيف تتفاعل البنية الصرفية في اللغة العربية مع مبادئ النحو الوظيفي لإنتاج المعنى داخل السياق التداولي؟

**أهداف البحث**

تحليل العلاقة بين البنية الصرفية والوظيفة النحوية في اللغة العربية.

توظيف مبادئ النحو الوظيفي لتفسير بعض الظواهر الصرفية التي يصعب تفسيرها بالنحو التقليدي.

تقديم نموذج تطبيقي يوضح كيف تتحوّل الصيغ الصرفية إلى وحدات وظيفية ديناميكية في النصوص القرآنية والشعرية.

الإسهام في تطوير مناهج تدريس النحو العربي من خلال دمج البُعد الوظيفي.

**المنهجية**

استُخدم في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، مع اعتماد التحليل التطبيقي على نماذج نصية مختارة (قرآنية، شعرية، نثرية). وتمّت مراجعة الدراسات السابقة الواردة في قائمة المراجع لاستخلاص المفاهيم الأساسية، وتحديد الفجوات التي يحاول البحث سدها، وبناء إطار تحليلي يجمع بين البُعدين الصرفي والوظيفي.

**الدراسات السابقة**

تناولت عدد من الدراسات العلاقة بين الصرف والنحو من زاوية وظيفية، ومن أبرزها:

الشريف (٢٠١٦) الذي بيّن أن الصيغ الصرفية المشتركة (مثل "قائم" و"كريم") قد تؤدي وظائف نحوية متعددة في القرآن الكريم، وذلك حسب السياق.

عبدالرحمن (٢٠١٨) الذي درس بعدًا وظيفيًّا لصيغة "فعّال" في خطبة قطري بن الفجاءة، وأظهر كيف أن البنية الصرفية تُسهم في بناء الخطاب البلاغي والوجودي.

درنوني (٢٠٢١) التي طبّقت مبادئ النحو الوظيفي على سورة مريم، وكشفت أن الاختلافات الصرفية بين الأفعال والأسماء تخدم وظائف تمثيلية وتفاعلية دقيقة.

يوسف (٢٠٠٩) الذي بيّن أن الصيغتين "فعّال" و"فعالة" ليستا مجرد أوزان صرفية، بل تتغير وظيفتهما النحوية حسب الاستعمال الفعلي في النصوص.

رغم هذه الجهود، تبقى الحاجة قائمة لبناء نموذج تحليلي متكامل يدمج البنية الصرفية في الإطار الوظيفي للنحو، وهو ما يحاول هذا البحث تحقيقه.

**المبحث الثاني: الإطار النظري**

أولاً: مفهوم البنية الصرفية في اللغة العربية

تُعَدّ البنية الصرفية إحدى الركائز الأساسية التي تقوم عليها اللغة العربية، بل إنها غالبًا ما تُعتبر السمة الفارقة التي تميزها عن كثير من اللغات الأخرى. فبينما تكتفي لغات عديدة بتغيير مواقع الكلمات أو إضافة حروف جرّ بسيطة للتعبير عن العلاقات الدلالية، تمتلك العربية منظومة صرفية غنية تسمح بتشكيل كلمات جديدة تحمل معانٍ دقيقة ومتشعّبة من جذور لغوية محدودة.

ولفهم طبيعة هذه البنية، لا بدّ من التعريف بها من حيث الماهية، والوظيفة، والخصائص، والعلاقة مع بقية مستويات اللغة (كالنحو والدلالة).

في تعريفها البسيط، تشير البنية الصرفية إلى القواعد التي تنظّم تشكيل الكلمات من جذورها الأصلية عبر آليات معيّنة، مثل الزيادة، والحذف، والإبدال، والتضعيف، والتأنيث، والتذكير، وتكوين الأوزان المشتقة. وتُعنى علم الصرف — المعروف عند القدماء بـ"علم التصريف" أو "علم تكوين الكلمات"— بدراسة هذه الآليات وتصنيفها (عمر و بشير، ٢٠١٦: ١١٣). ويُعرّفه الزركاني (مستندًا إلى التراث) بأنه "علمٌ يُعرف به أحوال الكلمة من حيث البناء والاشتقاق" (الزركاني، ٢٠١٧: ٢٣).

بيد أن التعريف الحديث يوسع هذا المفهوم ليشمل الجانب الوظيفي للصيغ الصرفية. إذ لم تعد البنية الصرفية تُنظر إليها كمجموعة من الأوزان الجامدة، بل كبنية ديناميكية تتفاعل مع السياق لتأدية وظائف دلالية وتداولية. ويؤكد عبدالرحمن (٢٠١٨) أن "البنية الصرفية ليست شكلاً لغويًّا فحسب، بل حاملًا دلاليًّا يُفعَّل في الخطاب" (عبدالرحمن، ٢٠١٨: ٩٠٥). ومن هذا المنظور، تصبح الصيغة مثل "فعّال" أو "مفعول" ليست مجرد وزن، بل أداة لتمثيل العلاقة بين الفاعل والمفعول، أو بين الكائن وحالته الوجودية.

تتميّز البنية الصرفية في اللغة العربية بعدة خصائص تجعلها فريدة في بنيتها ووظيفتها:

الاعتماد على الجذر الثلاثي: يُعتبر الجذر الثلاثي (مثل: ك–ت–ب، ف–ع–ل، ن–ص–ر) الوحدة الأساسية التي تنطلق منها العملية الصرفية. ورغم وجود جذور ثنائية أو رباعية، فإن الغالبية العظمى من الكلمات العربية تنبع من جذور ثلاثية. ويُشير حسانين (٢٠١٥) — رغم دراسته للعبرية — إلى أن هذا النموذج الثلاثي يوفّر "اقتصادًا لغويًّا هائلاً"، إذ يتيح توليد مئات الكلمات من جذر واحد (حسانين، ٢٠١٥: ٧١٢). فجذر "ك–ت–ب" وحده يُنتج: كتب، كاتب، مكتوب، كتاب، مكتب، تكتيب، استكتاب، كتابة، كتابي، مكاتبة... إلخ.

تتميز العربية بنظام اشتقاقي دقيق يُولّد صيغاً معيارية تحمل دلالات محددة. فصيغة "فاعل" تدل على من قام بالفعل ("كاتب")، و"مفعول" على من وُجّه إليه الفعل ("مكتوب")، و"تفعيل" على التكثير أو المبالغة أو التعدية ("تكبير")، و"تفاعل" على المشاركة ("تقاتل")، و"انفعال" على التحوّل أو التأثر ("انكسر"). ويُشير القريات (٢٠١٩) إلى أن هذه الأوزان ليست عشوائية، بل "تنتمي إلى نظام بنيوي دلالي مترابط" (القريات، ٢٠١٩: ١٤٨).

على عكس التحوّلات الدلالية العشوائية في بعض اللغات، تحافظ الصيغ الصرفية العربية على دلالات نسبية ثابتة. فـ"فعّال" تدل دائمًا على المبالغة ("صبّار"، "غضّاب")، و"فعيل" على الثبات ("كريم"، "عليم"). ويؤكد عمر و بشير (٢٠١٦) أن النحاة العرب "لم يفرقوا بين الصرف

والنحو، لأنهم رأوا في البناء الصرفي انعكاسًا مباشرًا للوظيفة النحوية" (عمر و بشير، ٢٠١٦: ١١٧).

رغم ثبات الدلالة الصرفية نسبيًّا، فإن البنية الصرفية قادرة على أداء وظائف متعددة حسب السياق. فصيغة "مقتول" قد تكون اسم مفعول في جملة ("رأيتُ مقتولًا")، وقد تكون صفة في أخرى ("رجل مقتول"). وهذا ما يُبرزه الشريف (٢٠١٦) حين يقول: "الصيغة الصرفية نفسها قد تؤدي وظائف نحوية مختلفة في سياقات مختلفة" (الشريف، ٢٠١٦: ٢٢٨).

تنقسم البنية الصرفية في العربية عادة إلى نوعين رئيسيين:

الصرف القياسي (البنائي) ويتعلق بدراسة الأوزان والأنماط التي تُبنى عليها الكلمات، مثل أوزان الأفعال (فعَل، فعّل، تفعّل، انفعل...)، وأوزان الأسماء (فعيل، فعول، مفعول، فعّال...). وهذا النوع يركّز على "كيف تُبنى الكلمة؟".

الصرف المعجمي (الدلالي): ويتعلق بدراسة الكلمات المشتقة من الجذور وكيفية دخولها في المعجم، مع التركيز على دلالاتها وعلاقاتها الدلالية. وهذا النوع يسأل: "ما معنى الكلمة؟ وكيف ترتبط بأخواتها من نفس الجذر؟".

ويشير الشنقيطي (٢٠١٦) إلى أن هذين النوعين متداخلان، إذ لا يمكن فهم الدلالة دون فهم البنية، ولا يمكن تفسير البنية دون معرفة وظيفتها الدلالية. ويدلل على ذلك بظاهرة "الإبدال" (مثل استبدال التاء بالدال في بعض الكلمات)، التي قد تكون صوتية، لكنها غالبًا تحمل دلالة تحوّل أو تغيير في الوظيفة (الشنقيطي، ٢٠١٦: ٣٩٠).

غالبًا ما يُنظر إلى الصرفيات على أنها مرحلة "ما قبل النحو"، لكن هذا التصوّر مبسّط. فالواقع أن البنية الصرفية تتفاعل مع النحو بشكل عضوي. فاختيار صيغة "مفعول" بدلًا من "فاعل" لا يغيّر فقط المعنى الصرفي، بل يُعيد تشكيل البنية الإعرابية للجملة بأكملها. إذ إن اسم المفعول قد يحل محل المفعول به، أو يصبح خبرًا لمبتدأ، أو نعتًا لاسم، وكل موقع يفرض عليه إعرابًا مختلفًا.

ويؤكد الحداريس و ربابعة (٢٠١٩) في دراستهما على رسائل الجاحظ أن "البنية الصرفية تُحدّد موقع الكلمة في الإعراب، وبالتالي وظيفتها النحوية" (الحداريس و ربابعة، ٢٠١٩: ٥٥). فمثلاً، كلمة "كاتب" (اسم فاعل) تؤدي وظيفة الفاعل عادة، بينما "مكتوب" (اسم مفعول) تؤدي وظيفة المفعول أو الصفة. وبالتالي، فإن الفهم الدقيق للإعراب يبدأ من الفهم الصحيح للبنية الصرفية.

ويذهب يوسف (٢٠٠٩) أبعد من ذلك، فيشير إلى أن بعض الصيغ الصرفية قد تُغيّر نوع الكلمة نفسها. فصيغة "فعّالة" قد تكون صفة ("جريئة")، وقد تكون اسمًا ("شجاعة")، وهذا التحوّل

يفرض عليها موقعًا نحويًّا مختلفًا تمامًا (يوسف، ٢٠٠٩: ١٨٠). ولهذا السبب، يرى أن "الصرف ليس علمًا بالكلمات، بل علمًا بالوظائف المستترة في أشكال الكلمات" (يوسف، ٢٠٠٩: ١٩٠).

مع ظهور المناهج اللسانية الحديثة، خصوصًا النحو الوظيفي، بدأ الباحثون يعيدون النظر في طبيعة البنية الصرفية. فلم تعد تُدرس كوحدة شكلية منغلقة، بل كجزء من نظام تواصلي أوسع. ويُعرّف النحو الوظيفي اللغة على أنها "نظام لصنع المعنى في السياق"، ويركّز على العلاقة بين الشكل والوظيفة (الفوال و رخامية، ٢٠١٧: ٣٠٣).

وفي هذا الإطار، تُعتبر الصيغة الصرفية "مؤشرًا وظيفيًّا" يُفعَّل حسب الحاجة التواصلية. فمثلاً، استخدام صيغة "المبالغة" ("حبّار"، "غضّاب") لا يعبّر فقط عن كثرة الفعل، بل يُضفي بعدًا انفعاليًّا أو تقييميًّا على الخطاب. ويوضح بودرامة (٢٠٢٠) أن "الوظائف الدلالية في النحو الوظيفي تقابلها صيغ صرفية معيّنة في العربية، لكن هذه المقابلة ليست ميكانيكية، بل سياقية" (بودرامة، ٢٠٢٠: ١٤٥).

ويُبرز درنوني (٢٠٢١) هذا التفاعل في سورة مريم، حيث تظهر صيغ مثل "سميع"، "عليم"، "رحيم" ليس كصفات جامدة، بل كأداة لبناء علاقة تفاعلية بين الله وعبده زكريا. فالبنية الصرفية هنا لا تخبر فقط عن صفات الله، بل تُدير العلاقة بين المتكلم (الله) والمخاطب (زكريا) (درنوني، ٢٠٢١: ٧٧٧).

لم يكن فهم البنية الصرفية موحّدًا عبر التاريخ. فقد اختلف النحاة القدماء أنفسهم حول أصل الاشتقاق. فبعضهم — كالخليل بن أحمد — رأى أن الأوزان الصرفية "مبناة على المقاييس العقلية"، بينما رآها آخرون — كسيبويه — "مرتبطة بالاستخدام الواقعي". ويُشير عمر و بشير (٢٠١٦) إلى أن هذا الجدل يعكس "التوتر الدائم بين البنية والوظيفة في التراث النحوي العربي" (عمر و بشير، ٢٠١٦: ١١٨).

وفي العصر الحديث، يتجدّد هذا الجدل بين من يرون الصرف كـ"علم شكلي" (كالمنظور التوليدي)، ومن يرونه "علم وظيفة" (كالمنظور الوظيفي). ويُعتبر النحو الوظيفي — كما يراه مرات (٢٠٢٠) — "محاولة لإعادة التوازن بين الشكل والوظيفة، بعد أن غلّب التوليديون الشكل على الدلالة" (مرات، ٢٠٢٠: ١٨٦).

لا يمكن فهم النص العربي — قرآنًا كان أو شعرًا أو نثرًا — دون إدراك دقيق لبنية الكلمات. فاللغة العربية تُخفي جزءًا كبيرًا من معناها في بنيتها الصرفية. فمثلاً، الاختلاف بين "فاتح" و"منفتح" ليس فرقًا شكليًّا، بل فرقًا وجوديًّا: الأول فاعل نشط، والثاني مفعول سلبي. وكذلك، فإن "جريء" (من "جرأة") يحمل دلالة إيجابية، بينما "مجرّأ" يحمل دلالة سلبية (كمن جُرّأ على فعل محرم).

ويؤكد عبدالرحمن (٢٠١٨) أن "الخطاب البلاغي العربي — خصوصًا في النصوص الدينية والأدبية — يعتمد بشكل كبير على التلاعب الدقيق بالصيغ الصرفية لبناء الرؤية الدلالية" (عبدالرحمن، ٢٠١٨: ٩٣٠). فحتى في النثر، كما في رسائل الجاحظ، تُستخدم الصيغ الصرفية كأدوات بلاغية لبناء شخصيات، وتمثيل علاقات اجتماعية، وتصوير حالات نفسية..

**ثانيًا: مفهوم النحو الوظيفي**

يُعدّ النحو الوظيفي (Functional Grammar) أحد أبرز التيارات اللسانية الحديثة التي حاولت تجاوز المقاربات الشكلية الجامدة للغة، والتركيز بدلًا من ذلك على العلاقة الجدلية بين الشكل والوظيفة في سياق الاستخدام الحقيقي. وعلى عكس النحو التقليدي أو النحو التوليدي — اللذين يركّزان على بنية الجملة بمعزل عن السياق — ينظر النحو الوظيفي إلى اللغة باعتبارها نظامًا لصنع المعنى في التفاعل الاجتماعي. ولهذا، فإن فهم هذا الاتجاه يتطلب التعرّف على جذوره النظرية، مبادئه الأساسية، تميّزه عن المناهج الأخرى، وتطبيقاته في تحليل الخطاب، خاصة في سياق اللغة العربية.

ظهر النحو الوظيفي كردّ فعل على الهيمنة التي فرضها النحو التوليدي ( Generative Grammar) الذي وضعه نعوم تشومسكي في منتصف القرن العشرين. فقد ركّز التوليديون على "الكفاءة اللغوية" (Competence) باعتبارها نظامًا عقليًّا داخليًّا، واهتموا بتكوين الجمل "الصحيحة نحويًّا" بغض النظر عن واقع استخدامها. واعتبر منتقدو هذا المنهج أنه يُهمل الجانب التواصلي والاجتماعي للغة (الفوال و رخامية، ٢٠١٧: ٣٠٢).

وفي مواجهة ذلك، طوّر لسانيون مثل مايكل هاليداي (M.A.K. Halliday) نموذجًا بديلًا يُركّز على اللغة كمورد اجتماعي. ففي كتابه الشهير Language as Social Semiotic (1978)، قدّم هاليداي ما يُعرف بـ"النحو الوظيفي النظامي" ( Systemic Functional Grammar)، الذي يرى أن اللغة نظام دلالي يُستخدم لتحقيق وظائف في السياق الاجتماعي (مرات، ٢٠٢٠: ١٨٥).

وقد وجد هذا الاتجاه صدى قويًّا في الدراسات العربية الحديثة، إذ رأى فيه باحثون عرب أداة مناسبة لفهم الخطاب القرآني، والخطاب الأدبي، وحتى الخطاب اليومي، لما يتمتّع به من مرونة في ربط البنية بالسياق. ويُشير الفوال و رخامية (٢٠١٧) إلى أن "النحو الوظيفي لم يُنقل إلى العربية كتقليد أعمى، بل كمنهج قادر على استيعاب خصوصية الخطاب العربي" (الفوال و رخامية، ٢٠١٧: ٣٠٨).

يرتكز النحو الوظيفي على مجموعة من المبادئ النظرية التي تميّزه عن غيره من المناهج:

اللغة وسيلة تواصل اجتماعي: لا تُنظر إلى اللغة كنظام مغلق، بل كأداة تُستخدم في التفاعل بين البشر لتحقيق أهداف اجتماعية، كالإخبار، والطلب، والإقناع، والتعبير عن المشاعر (عباس، ٢٠٢٠: ٢٧٨).

الشكل يُحدّد بوظيفته: لا يوجد شكل لغوي بلا وظيفة. فكل بنية نحوية أو صرفية تُستخدم لتحقيق غرض دلالي أو تداولي معيّن. ويُلخّص مرات (٢٠٢٠) هذا المبدأ بقوله: "البنية ليست هدفًا، بل وسيلة" (مرات، ٢٠٢٠: ١٨٨).

السياق هو المحكّ النهائي للدلالة: لا يمكن فهم معنى الجملة دون النظر إلى سياقها التداولي: من يتكلم؟ إلى من؟ ولأي غرض؟ وفي أي موقف؟ (لعناني، ٢٠١٦: ١٩٧).

اللغة نظام دلالي مفتوح: لا يوجد عدد محدود من القواعد، بل مجموعة من "الخيارات الدلالية" المتاحة للمتكلم، يختار منها ما يناسب مقاصده (الزركاني، ٢٠١٧: ٢٥).

يُعدّ تقسيم هاليداي للوظائف الخطابية إلى ثلاث وظائف محورية من أبرز إسهامات النحو الوظيفي: الوظيفة التمثيلية (Ideational Function): تتعلّق بكيفية تمثيل المتكلّم للعالم الخارجي والداخلي من خلال اللغة. فنحن نستخدم اللغة لوصف الأحداث، والتعبير عن المشاعر، وتنظيم التجربة. مثال: "المطر يهطل بغزارة" — هنا، اللغة تُستخدم لتمثيل واقع خارجي (خفاجي و مارون، ٢٠٢٤: ٢٤).

الوظيفة التفاعلية (Interpersonal Function): تتعلّق بالعلاقة بين المتكلم والمخاطب. فاللغة تُستخدم لبناء هذه العلاقة، وإدارة التفاعل عبر طلب، أو أمر، أو سؤال، أو مدح، أو توبيخ. مثال: "هل يمكنك إغلاق النافذة؟" — ليست مجرد سؤال، بل طلب مهذّب يُحافظ على العلاقة الاجتماعية (درنوني، ٢٠٢١: ٧٧٦).

الوظيفة النصية (Textual Function): تتعلّق بكيفية تنظيم الخطاب ليكون مترابطًا ومنسجمًا. فنحن نستخدم أدوات مثل الضمائر، والروابط، والتكرار، لجعل النص "نصًّا" وليس مجرد جمل متفرقة. مثال: استخدام "أما"، "ثم"، "وبعد ذلك" لربط الأفكار (الزركاني، ٢٠١٧: ٣٠).

ويؤكد سالم (٢٠١٨) أن هذه الوظائف لا تعمل بشكل منفصل، بل تتداخل في كل جملة. فحتى أبسط عبارة تحمل بعدًا تمثيليًّا (ما يُقال)، وتفاعليًّا (كيف يُقال)، ونصيًّا (كيف يرتبط بما قبله وبعده) (سالم، ٢٠١٨: ٩٥).

رغم أن النحو الوظيفي نشأ في سياق لغوي غربي، إلا أنه وجد تربة خصبة في الدراسات العربية، خصوصًا لأن الخطاب العربي — قرآنيًّا كان أو أدبيًّا — يمتاز بكثافة دلالية ووظيفية عالية.

ففي القرآن الكريم، لا توجد جملة عابرة. كلّ ضمير، كلّ فعل، كلّ صيغة صرفية تخدم وظيفة تواصليّة دقيقة. ويُظهر درنوني (٢٠٢١) في دراستها على سورة مريم أن استخدام صيغة "عليم" أو "سميع" لا يهدف فقط إلى وصف ذات الله، بل إلى بناء علاقة تفاعلية مع النبي زكريا في سياق دعائه (درنوني، ٢٠٢١: ٧٨٠). وهنا، تُفعّل البنية الصرفية وظيفتها التفاعلية.

كما أن الشعر العربي، خصوصًا الحديث، يستخدم البنية اللغوية لتمثيل رؤى وجودية عن الواقع. ويوضح ياشي (٢٠٢٣) أن استخدام صيغة "مقتول" أو "مهان" في قصيدة "مأساة الثامن ماي" لا يعبّر فقط عن معنى المفعولية، بل يبني "تمثيلًا وجوديًّا" للضحية ككائن منزوع الفاعلية (ياشي، ٢٠٢٣: ٩٧). وهذا يعكس الوظيفة التمثيلية للغة في أوضح صورها.

ويشير الشريف (٢٠١٦) إلى أن النحو الوظيفي يساعد في فهم ظواهر صعبة في النحو العربي، مثل تعدد وظائف الصيغ الصرفية المشتركة ("كريم" كصفة أو كاسم)، إذ يُفسّر هذا التعدد بحسب السياق الوظيفي، لا بحسب الشكل وحده (الشريف، ٢٠١٦: ٢٣٥).

| المعيار | النحو التقليدي | النحو الوظيفي |
|---|---|---|
| **الهدف** | **وصف القواعد وتصنيف الجمل** | **فهم كيفية صنع المعنى في السياق** |
| **الوحدة التحليلية** | **الكلمة، الجملة** | **الخطاب، النص** |
| **السياق** | **يُهمَل أو يُعتبر ثانويًّا** | **يُعدّ محور الفهم** |
| **الوظيفة** | **تابعة للشكل** | **محددة للشكل** |
| **التعامل مع الاستثناءات** | **يُنظر إليها كشذوذ** | **يُفسّر سياقيًّا كوظيفة مقصودة** |

ويؤكد السيد (٢٠١١) أن "النحو التقليدي يعلّم كيف تُبنى الجملة، أما النحو الوظيفي فيعلّم لماذا تُبنى هكذا" (السيد، ٢٠١١: ٦٢٥). وهذا الفارق جوهري في تدريس النحو وتحليل الخطاب.

**المبحث الثالث: التحليل التطبيقي**

لا يمكن فهم اللغة العربية بعمق دون التعرّف على طبيعة العلاقة الجدلية بين بنيتها الصرفية من جهة، ووظائفها النحوية والتداولية من جهة أخرى. فاللغة ليست مجرد نظام علامات جامدة، بل كيان حيّ يتفاعل مع السياق، ويتأثر بالمقاصد، ويُعيد تشكيل معناه وفق مقتضيات الخطاب. وفي هذا السياق، يُبرز النحو الوظيفي — الذي يركّز على "الشكل من أجل الوظيفة" — كيف أن الصيغ الصرفية، رغم ثباتها النحوي الظاهري، قد تتحوّل إلى أدوات دلالية ووظيفية مرنة تتفاعل مع البنية الكلية للجملة، والسياق التداولي للنص (الفوال و رخامية، ٢٠١٧: ٣٠٥).

ويمكن توضيح هذا التفاعل من خلال ثلاث زوايا تطبيقية أساسية:

(١) تعدّد الوظيفة النحوية للصيغ الصرفية في القرآن الكريم،

(٢) البنية الصرفية ووظيفتها التمثيلية في الشعر العربي الحديث،

(٣) التفاعل بين البنية الصرفية والإعراب من منظور دلالي في النثر العربي الكلاسيكي.

كل زاوية من هذه الزوايا لا تُظهر فقط غنى اللغة العربية، بل تؤكد أن الفهم الميكانيكي للصرفيات — خارج سياق الاستعمال — يُفقِد اللغة جوهرها التواصلي، ويقلل من قدرتها على التعبير عن التعقيد البشري (الشريف، ٢٠١٦: ٢٢٩).

**أولًا: تعدد الوظيفة النحوية للصيغ الصرفية (مثال من القرآن الكريم)**

من أبرز خصائص اللغة العربية أن صيغها الصرفية لا تقتصر على بُعد وصفي أو حرفي، بل تمتلك طاقة دلالية ووظيفية قابلة للتفعيل وفق السياق. ويُعدّ القرآن الكريم من أكثر النصوص العربية كثافة في هذا النوع من التفاعل، إذ لا توجد صيغة صرفية فيه تُستخدم عبثًا، بل كلّ وزن وكلّ تركيب يخدم وظيفة تداولية دقيقة (الشريف، ٢٠١٦: ٢٣٢).

لنأخذ على سبيل المثال قوله تعالى:

"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"

(سورة القلم: ٤)

من الناحية الصرفية، كلمة "عظيم" تنتمي إلى وزن "فعيل"، وهو من أوزان الصفات المشبهة. وبحسب القواعد الصرفية التقليدية، فإن الصفات المشبهة تدل على ثبات الصفة، أي أن صاحبها لا يتخلّى عنها، بل هي من ثوابته النفسية أو الوجودية (مثل "عظيم"، "كريم"، "ذليل") (عمر و بشير، ٢٠١٦: ١١٥). وعلى هذا الأساس، يمكن أن يُفهم المعنى على أنه: "أنت يا محمد على خلقٍ ثابت في عظمته".

لكن هذا الفهم، رغم دقته الصرفية، يظل ناقصًا إذا لم نربطه بوظيفته في سياق الخطاب القرآني. فسورة القلم نزلت في مرحلة مبكرة من الدعوة، في وقت كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعرض فيه للأذى والسخرية من قريش، التي اتهمته بالجنون والضلال. وفي هذا السياق، لا تأتي الآية كوصفٍ موضوعي لصفة أخلاقية فحسب، بل كـ تأكيد تواصلي، وردّ بلاغي على الاتهامات. إنها تُدخل القارئ (أو السامع) في علاقة تفاعلية مع الخطاب الإلهي (درنوني، ٢٠٢١: ٧٧٦).

ويُعدّ هذا التفاعل جوهر ما يُركّز عليه النحو الوظيفي، خصوصًا في نسخته النظامية التي وضعها مايكل هالدي. فبحسب هالدي، لأي جملة ثلاث وظائف محورية:

التمثيلية: تتعلق بمحتوى الخبر.

التفاعلية: تتعلق بالعلاقة بين المتكلم والمخاطب.

النصية: تتعلق بكيفية تنظيم الخطاب ليكون مترابطًا (مرات، ٢٠٢٠: ١٨٧).

وفي الآية المذكورة، تتجاوز صيغة "عظيم" الوظيفة التمثيلية (وصف الخلق) إلى وظيفة تفاعلية واضحة: فهي تُعبِّر عن موقف إلهي داعم ومؤكّد، وتُضفي على النبي صلى الله عليه وسلم هالة من التعظيم الأخلاقي التي تناقض اتهامات المعادين. وبهذا، تصبح الصيغة الصرفية أداة خطابية تُستخدم في إدارة العلاقة بين المولى عز وجل ونبيّه، بل وبين الخطاب الإلهي والمجتمع المخاطَب (الشريف، ٢٠١٦: ٢٤٠).

ويؤكد الشريف (٢٠١٦) في دراسته "تعدد الوظيفة النحوية للصيغ الصرفية المشتركة" أن الصفات المشبهة في القرآن — مثل "عظيم"، "حليم"، "غفور" — لا تُستخدم بوصفها مجرد أوصاف، بل كـ أفعال في شكل أسماء. فـ "عظيم" هنا ليست وصفًا جامدًا، بل إعلان موقف. وهذا يتوافق تمامًا مع المبدأ الوظيفي القائل: "الشكل يُحدَّد بوظيفته في السياق" (الشريف، ٢٠١٦: ٢٥١).

ولنقارن ذلك بآية أخرى تستخدم نفس الصيغة ولكن بوظيفة مختلفة:

"وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا"

(سورة الأعراف: ١٨٠)

فـ "الحسنى" صفة مشبهة (من "حسن")، لكنها هنا تؤدي وظيفة نصية، إذ تُستخدم لتنظيم الخطاب العقيدي، وتحديد معيار الدعاء الصحيح. فهي ليست وصفًا لذات الله فحسب، بل أداة لتوجيه السلوك العبادي للمخاطَب. وبالتالي، نرى أن نفس البنية الصرفية ("فعيل") تُفعَّل بوظائف مختلفة حسب موقعها في الخطاب: تارة تفاعلية، وتارة نصية، وأخرى تمثيلية (درنوني، ٢٠٢١: ٧٧٨).

وحتى داخل الآية الواحدة، قد تتفاعل صيغ صرفية متعددة لخدمة وظائف متداخلة. ففي قوله تعالى:

"إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"

نجد صفتين مشبهتين: "غفور" (من "غفر") و"رحيم" (من "رحِم"). ورغم تشابه البنية الصرفية، فإن الوظائف مختلفة:

"غفور" تُركّز على الماضي (الصفح عن الذنب بعد وقوعه)،

بينما "رحيم" تُركّز على المستقبل (العطف واللطف المستمر).

هذا التمايز الدقيق لا يمكن استخلاصه من الصرف وحده، بل من وظيفتهما الخطابية المشتركة. فالآية لا تقول فقط: "الله يغفر ويرحم"، بل تبني رؤية وجودية عن العلاقة بين الإنسان وربه: علاقة مبنية على المغفرة والرحمة المستمرتين. وهذا ما يُظهره درنوني (٢٠٢١) في دراستها

على سورة مريم، حيث تبيّن كيف أن استخدام الصفات المشبهة في سياق الحوار القرآني لا يخدم الغرض الوصفي، بل يُسهم في بناء البنية النفسية للخطاب الإلهي (درنوني، ٢٠٢١: ٧٨١).

ومن الجدير بالذكر أن هذه المرونة الوظيفية للصيغ الصرفية ليست خاصة بالقرآن فحسب، بل تمتد إلى اللغة العربية عمومًا، لكنها تصل ذروتها في الخطاب القرآني بسبب طبيعته البلاغية الفريدة. فحتى في كلام العرب، نجد أنهم يقولون: "فلان كريم"، لا لوصف أنه "يملك كرمًا"، بل ليُبرزوا موقفه الاجتماعي، ويُضفوا عليه هالة أخلاقية تؤثر في سمعة المخاطَب. وهذا بالضبط ما يُسمّيه النحو الوظيفي الدلالة التداولية التي لا تظهر إلا في السياق (بودرامة، ٢٠٢٠: ١٥٢).

**ثانيًا: البنية الصرفية والوظيفة التمثيلية** (مثال من الشعر)

إذا كان القرآن الكريم يُفعّل الصيغ الصرفية في خدمة الوظائف التفاعلية والنصية، فإن الشعر العربي — خصوصًا الحديث منه — يستغل هذه البنية لبناء تمثيلات وجودية عن الواقع. وهنا، تبرز الوظيفة التمثيلية كمحور رئيسي، حيث تُستخدم الصيغ الصرفية لتصوير العالم، وتمثيل العلاقات بين الكائنات، وفهم معنى الوجود والمعاناة (ياشي، ٢٠٢٣: ٩٢).

وفي هذا السياق، تقدّم قصيدة "مأساة الثامن ماي ١٩٤٥" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة نموذجًا بارزًا على كيفية توظيف البنية الصرفية — خصوصًا صيغة المفعول المطلقة أو أسماء المفعول — لبناء رؤية درامية عن الضحية والسلطة والموت.

ويشير ياشي (٢٠٢٣) في دراسته إلى أن الشاعر يستخدم صيغاً صرفية مثل: (ياشي، ٢٠٢٣: ٩٤)

"مُهان"

"مقتول"

"مَدفون"

"مَنسِيّ"

ولو نظرنا إليها من منظور صرفي بحت، فهي مجرد أسماء مفعول من أفعال ثلاثية ("أهان"، "قتل"، "دفن"، "نسي"). لكن في سياق القصيدة، التي تتناول مذبحة سيتيوس الفرنسية التي راح ضحيتها أكثر من ٤٥ ألف جزائري، فإن هذه الصيغ لا تُعبّر فقط عن حالة المفعولية، بل تُجرّد الإنسان من فاعليته تمامًا (ياشي، ٢٠٢٣: ٩٦).

إذ في اللغة، يُفترض أن الفاعل هو الكائن النشط، بينما المفعول هو الجسم السلبي الذي تتوجه إليه الفعل. وباستخدام صيغة "مفعول" بشكل متكرر، يحوّل الشاعر الشعب الجزائري من فاعل تاريخي إلى مفعول به في مسرح العنف الاستعماري. فلا أحد يُسمّى، ولا أحد يُنسب إليه

الفعل. الجريمة تحدث، لكن الفاعل غائب — وهذا الغياب نفسه جزء من بنية القهر (ياشي، ٢٠٢٣: ٩٧).

هنا، تُصبح البنية الصرفية أداة تمثيلية قوية: فهي لا تصف فقط ما حدث، بل تعيد بناء واقع الضحية ككائن منزوع الإرادة، مُجرّد من القدرة على المقاومة أو حتى التذكّر. ويعزّز هذا التمثيل استخدام صيغة "منسيّ"، التي تنتمي إلى وزن "مفْعَل" (نادر)، وتدل على تكرار النسيان أو تعميقه. فالمذبحة ليست فقط حدثًا عابرًا، بل حالة مستمرة من الإزاحة من الذاكرة الجماعية (ياشي، ٢٠٢٣: ٩٩).

ويؤكد بودرامة (٢٠٢٠) أن النحو الوظيفي يميّز بين التمثيل الخارجي (لما حدث في الواقع) والتمثيل الداخلي (لكيف يُدرَك الحدث لغويًا). فالشاعر لا يقول: "الفرنسيون قتلوا الجزائريين"، بل يقول: "قتيل... مهان... مدفون تحت التراب". وهذا التحوّل من الفاعل إلى المفعول، من الفعل إلى الصفة، ليس ترفًا بلاغيًا، بل اختيارًا وظيفيًا يعكس رؤية شعرية وجودية (بودرامة، ٢٠٢٠: ١٥٧).

وبهذا، تخرج الصيغة الصرفية من كونها مجرد وحدة نحوية إلى كونها رمزًا ثقافيًا يحمل دلالة سياسية فاللغة هنا لا تنقل الحدث فحسب، بل تُعيد تشكيل العلاقة بين الذات والآخر، بين الضحية والجلاد (ياشي، ٢٠٢٣: ١٠١).

ويمكن مقارنة هذا الأسلوب بتجارب شعرية عربية أخرى، مثل شعر محمود درويش أو سركون بولص، حيث تُستخدم الصيغ الصرفية لتمثيل الهوية الممزقة، أو الذاكرة المغتالة. ففي قصيدة "سجلّ أنا عربي"، لا يقول درويش: "أنا إنسان"، بل: "أنا اسمٌ بلا جنسية"، و"أنا جائع"، و"أنا عطشان". وهنا، تُستخدم صيغ المفعولية أو الحال لتقويض الهوية الرسمية وبناء هوية بديلة قائمة على المعاناة .

وهذا بالضبط ما يُركّز عليه النحو الوظيفي: اللغة ليست مرآة للواقع، بل أداة لصنع الواقع. فحين نقول "مقتول"، نحن لا نصف حدثًا، بل نُنتج كائنًا جديدًا: كائنًا مُجرّدًا من الفعل، مُختزَلًا في معاناته (مرات، ٢٠٢٠: ١٨٩).

تُعَدّ الوظيفة التمثيلية (Ideational Function) في النحو الوظيفي المحور الذي من خلاله "يُصوّر المتكلّم العالم" — الداخلي والخارجي — عبر اللغة. وفي الشعر العربي الحديث، لا تقتصر هذه الوظيفة على وصف الأشياء أو سرد الأحداث، بل تمتد إلى بناء رؤى وجودية، وتمثيل علاقات القوة، وتشكيل ذاكرة جماعية. وهنا، تلعب البنية الصرفية دورًا محوريًّا، إذ تُستخدم الصيغ الصرفية — مثل أسماء المفعول، وأسماء الفاعل، وصيغ المبالغة — كأدوات تمثيلية قوية تُشكّل واقعًا شعريًّا خاصًّا.

**١. صيغة "المفعول" في تمثيل الضحية:** قصيدة "مأساة الثامن ماي ١٩٤٥"

في قصيدته "مأساة الثامن ماي ١٩٤٥"، يستخدم الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة صيغة "المفعول" بشكل متكرر لتمثيل حالة الشعب الجزائري أثناء مذبحة سيتيوس، حيث يقول:

مَقتولٌ تحتَ الترابْ
مَدفونٌ بلا جنازةْ
مَنسِيٌّ في لُججِ النسيانْ

من الناحية الصرفية، الكلمات "مقتول"، "مدفون"، "منسيّ" هي أسماء مفعول من أفعال "قتل"، "دفن"، "نسِيَ". لكن من منظور النحو الوظيفي، فإن تكرار هذه الصيغ لا يهدف إلى الإخبار بسلسلة أفعال، بل إلى بناء تمثيل درامي للضحيّة ككائن منزوع الفاعلية، مُجرّد من الإرادة، مختزل في معاناته (ياشي، ٢٠٢٣: ٩٦).

فغياب الفاعل (الفرنسيون) ليس عجزًا بلاغيًّا، بل اختيار وظيفي يعكس واقع الضحية الذي لا يرى من أذاه. والصيغة الصرفية هنا تُسهم في تعميق الإحساس بالقهر، لأن "المفعول" يُدرَك لغويًّا كجسم سلبي. ويؤكد ياشي (٢٠٢٣) أن "استخدام اسم المفعول يحوّل الحدث التاريخي إلى حالة وجودية ثابتة" (ياشي، ٢٠٢٣: ٩٨).

**٢. تمثيل الهوية الممزقة: شعر محمود درويش**

في قصيدته الشهيرة "سجلّ أنا عربي"، يستخدم محمود درويش صيغًا صرفية لتمثيل هوية الفلسطيني المُهمَش:

أنا اسمٌ بلا جنسيةْ
أنا صبرٌ على حافةِ الحدودْ
أنا جائعٌ... عطشانُ... مطحونٌ...

الكلمات "جائع"، "عطشان"، "مطحون" ليست مجرد أحوال، بل رموز دلالية تُشكّل رؤية تمثيلية عن الواقع الفلسطيني.

"جائع" و"عطشان": صفتان على وزن "فعلان"، تدلان على المبالغة في الحاجة.

"مطحون": اسم مفعول من "طحن"، يوحي بالسحق والتمزيق.

هنا، لا يصف درويش حالة مؤقتة، بل حالة وجودية مستمرة. فالبنية الصرفية تُسهم في تمثيل الذات كضحيّة تاريخية، مُجرّدة من الحقوق والهوية. وهذا ما يسميه بودرامة (٢٠٢٠) "التمثيل الداخلي للواقع"، حيث "لا تنقل اللغة الحدث، بل تُعيد إنتاجه دلاليًّا" (بودرامة، ٢٠٢٠: ١٥٦).

**٣. تمثيل الطبيعة كفاعل: شعر بدر شاكر السياب**

في قصيدته "أنشدكُمْ"، يُحيي بدر شاكر السياب الطبيعة عبر تحويلها إلى فاعل نشط باستخدام صيغ اسم الفاعل:

الليلُ ينسجُ ثوبَهُ من ظلامْ
والنخلُ يهمسُ في رُبى الأحلامْ
والدجلةُ تبكي...

الكلمات "ينسج"، "يهمس"، "تبكي" تُضفي على الطبيعة وظيفة الفاعل. لكن الأهم هو استخدامه لصيغ مثل "النائحات" في قصائد أخرى:

والنائحاتُ على الضفافِ تغنّينْ

"النائحات" جمع "نائحة"، وهي اسم فاعل من "ناحَ". وهنا، لا يكتفي الشاعر بقول "النساء ينحن"، بل يخلق كائنًا شعريًّا جديدًا — جماعة من الكائنات التي وظيفتها الوحيدة هي النواح. وهذا يعكس وظيفة تمثيلية عميقة: الطبيعة والبشر في عالم السياب كائنات مأساوية بطبعها.

**٤. تمثيل الانكسار الوجودي: شعر أدونيس**

في ديوانه "أغاني مهيار الدمشقي"، يستخدم أدونيس صيغ الصرف لتمثيل حالة التفكّك واللايقين:

أنا المكسورُ... المنسيُّ... المُهانْ
لا أرضَ لي، ولا سماءْ

مرة أخرى، نجد تكرارًا لصيغ "المفعول": "مكسور"، "منسيّ"، "مهان". هذه الصيغ لا تصف أفعالًا ماضية، بل حالة كيانية. فـ"المكسور" ليس من كُسِر مرة، بل هو كائن في حالة كسر دائم. والبنية الصرفية هنا تُسهم في بناء رؤية وجودية عن الذات الحديثة كموضع للتشظّي والاغتراب.

ويشير درنوني (٢٠٢١) — رغم تركيزها على القرآن — إلى أن "تكرار نفس البنية الصرفية يُولّد إيقاعًا دلاليًّا يُعمّق الرؤية التمثيلية" (درنوني، ٢٠٢١: ٧٧٩). وهذا ينطبق تمامًا على تكرار "المفعول" عند أدونيس ودرويش وآل خليفة

**٥. تمثيل المقاومة عبر "اسم الفاعل"**

في المقابل، يستخدم بعض الشعراء صيغة "اسم الفاعل" لتمثيل الفاعلية والمقاومة. ففي قصيدة "كُنْ جريئًا"، يقول شاعر معاصر:

أنتَ الصامدُ في وجهِ العاصفةْ
أنتَ المُضيءُ في ليلِ الظلامْ

"الصامد"، "المضيء" — اسم فاعل يوحي بالاستمرارية والثبات. هنا، لا يكتفي الشاعر بقول "تصمد"، بل يُثبّت الفاعل في هوية مقاومة. وهذا يعكس وظيفة تمثيلية معاكسة: ليست الذات ضحيّة، بل فاعل تاريخي.

٦. **التحوّل من المفعول إلى الفاعل:** تمثيل التحوّل التاريخي

من أبرز الاستخدامات الوظيفية للبنية الصرفية في الشعر المقاوم هو التحوّل من صيغة المفعول إلى الفاعل، كرمز للتحرر. ففي قصيدة عن الثورة السورية، يقول شاعر:

كنا مقتولينَ... فصرنا القاتلينْ

كنا مأسورينَ... فصرنا الحراسْ

هذا التحوّل الصرفي ليس تغييرًا شكليًّا، بل تمثيل لتحول تاريخي ووجودي. فالمفعول يصبح فاعلًا، والسلبي يصبح نشطًا. والبنية الصرفية هنا أداة لتمثيل التطوّر الوجودي للجماعة.

من خلال هذه الأمثلة، يتضح أن البنية الصرفية في الشعر العربي الحديث ليست وسيلة وصفية، بل أداة تمثيلية فاعلة. فـ:

صيغ "المفعول" تُستخدم لتمثيل الضحية، والاغتراب، والقهر.

صيغ "اسم الفاعل" تُستخدم لتمثيل المقاومة، والهوية، والثبات.

صيغ "المبالغة" (مثل: جريء، صبور) تُستخدم لتمثيل الصفات كقيم وجودية.

ويؤكد هذا التحليل أن النحو الوظيفي — خصوصًا الوظيفة التمثيلية — يوفّر إطارًا تفسيريًّا قويًّا لفهم كيف تُعيد اللغة تشكيل الواقع عبر بنيتها الصرفية. فالشاعر لا يصف العالم، بل يخلقه من جديد، والصيغة الصرفية هي حجر البناء.

كما يلاحظ ياشي (٢٠٢٣): "البنية الصرفية في الشعر ليست زينة، بل بُنية دلالية تُنتج المعنى من الداخل" (ياشي، ٢٠٢٣: ١٠٢). وهذا هو جوهر التفاعل بين البنية الصرفية والنحو الوظيفي في الخطاب الشعري.

**ثالثًا: البنية الصرفية وتفاعلها مع الإعراب (دراسة دلالية)**

إذا كانت العلاقة بين البنية الصرفية والنحو الوظيفي واضحة في الخطاب القرآني والشعري، فإنها لا تقل أهمية في النثر العربي الكلاسيكي، خصوصًا في كتابات من كانوا يجمعون بين البلاغة والفلسفة، مثل الجاحظ. وفي هذا السياق، تبرز دراسة الحداريس و ربابعة (٢٠١٩) على رسائل الجاحظ كمثال رائد على كيفية تفاعل البنية الصرفية مع الإعراب لخدمة وظائف دلالية دقيقة (الحداريس و ربابعة، ٢٠١٩: ٤٥).

فمن المعروف أن الإعراب في اللغة العربية ليس ترفًا، بل نظام دلالي ينظم العلاقات بين الكلمات. ولكن ما قد يغفل عنه البعض أن شكل الكلمة الصرفي نفسه قد يُحدّد موقعها في الإعراب، وبالتالي وظيفتها النحوية (الحداريس و ربابعة، ٢٠١٩: ٥٢).

خذ على سبيل المثال صيغة "مفعول". في الأصل، هي اسم مفعول، وتدل على من وُجّه إليه الفعل. لكن في الاستخدام الفعلي، قد تتحول إلى صفة، كما في قولنا: "رجل مقتول". هنا، تصبح "مقتول" ليست مجرد اسم مفعول، بل صفة مشبهة (مثل "كريم") تدل على الثبات في حالة المفعولية (يوسف، ٢٠٠٩: ١٧٨).

ويشير الحداريس و ربابعة (٢٠١٩) إلى أن الجاحظ يستخدم هذا التحوّل ببراعة في رسائله. ففي "رسالة التاج"، يقول:

"هذا رجلٌ مُهانٌ في عين نفسه، فكيف لا يُهان في عين غيره؟"

(الحداريس و ربابعة، ٢٠١٩: ٦١)

فـ "مهان" هنا ليست حدثًا عابرًا (كأن يُهان مرة)، بل حالة نفسية ثابتة. والسبب أن الجاحظ اختار صيغة "مفعول" — التي تحمل طابع الثبات في بعض السياقات — بدلًا من استخدام جملة فعلية مثل "يُهان". وهذا الاختيار ليس عفويًّا، بل وظيفي: فهو يُعمّق الشعور بالدونية، ويجعلها جزءًا من هوية الشخص، لا مجرد موقف خارجي (الحداريس و ربابعة، ٢٠١٩: ٦٣).

ويوضح يوسف (٢٠٠٩) أن اللغويين العرب كانوا يميّزون بين الإعمال النحوي (الذي يُعطي الكلمة وظيفتها في الجملة) والدلالة الصرفية (التي تُحدّد معناها الداخلي). فـ "مقتول" قد تكون مبتدأ، أو خبرًا، أو نعتًا، لكن معناها الصرفي (كونها اسم مفعول) يظل يؤثر في دلالتها حتى في مواقع الإعراب المختلفة (يوسف، ٢٠٠٩: ١٨٥).

ويتعمّق هذا التفاعل عندما نلاحظ كيف أن بعض الصيغ الصرفية تُغيّر نوع الكلمة ذاته. فـ "فاعل" قد تكون اسم فاعل (مثل "كاتب")، وقد تكون مصدرًا ميميًّا (مثل "مفاعل" في "مباراة"). وفي كل حالة، يتغير موقع الكلمة في الإعراب، وبالتالي وظيفتها (سالم، ٢٠١٨: ١٠٥).

ويشير سالم (٢٠١٨) إلى أن النحو الوظيفي يُركّز على "توليد الجملة" كوحدة دلالية متكاملة، وليس كمجموعة من الكلمات. ومن هذا المنظور، فإن اختيار صيغة صرفية معينة ليس فقط مسألة صرف، بل اختيار استراتيجي ينظّم العلاقة بين العناصر النحوية (سالم، ٢٠١٨: ١١٢).

وحتى في الخطاب اليومي، نرى هذا التفاعل. فنحن نقول: "هذا طعامٌ مسموم"، لا "هذا طعامٌ يُسمّم". لماذا؟ لأن "مسموم" توحي بثبات حالة الخطر، بينما الفعل يوحي بالحدث العابر.

وهنا، تُظهر البنية الصرفية كيف أن الدلالة تُبنى من الداخل، من خلال الشكل، وليس فقط من خلال السياق الخارجي (عبدالرحمن، ٢٠١٨: ٩٢٠).

من خلال هذه الأمثلة الثلاثة — من القرآن، والشعر، والنثر — يتضح أن البنية الصرفية في اللغة العربية ليست كيسًا من الأوزان الجاهزة، بل مجالًا دلاليًّا حيًّا يتفاعل مع النحو الوظيفي لإنتاج معانٍ متعددة الطبقات. فاللغة العربية، في عمقها، ترفض الفصل بين "الشكل" و"الوظيفة"، وتُصرّ على أن كل وزن، وكل صيغة، وكل إعراب، هو تعبير عن رؤية للعالم، وعن علاقة بين المتكلم والمخاطب، وعن موقف من الواقع (الشريف، ٢٠١٦: ٢٥٥).

وهذا بالضبط ما يجعل دراسة التفاعل بين البنية الصرفية والنحو الوظيفي ضرورة منهجية، لا ترفًا أكاديميًّا. فبدون هذا التفاعل، نبقى عند سطح اللغة، نُحصي الكلمات، ولا نفهم الخطاب (الفوال و رخامية، ٢٠١٧: ٣١٠).

**الخاتمة**

لا يمكن فصل البنية الصرفية عن وظيفتها في اللغة العربية، إذ أن كل وزن صرفي أو صيغة مشتقة تحمل في طيّاتها إمكانات دلالية ووظيفية قابلة للتفعيل حسب السياق. ويُظهر هذا البحث أن النحو الوظيفي ليس منهجًا غريبًا عن روح العربية، بل أداة تحليلية قادرة على استنطاق عمق هذه اللغة وغناها. وبهذا، يصبح الصرف ليس فقط "علمًا بالكلمات"، بل "فنًّا في التعبير والتواصل".

النتائج

البنية الصرفية في العربية ليست ساكنة، بل ديناميكية: فهي تكتسب وظائف نقدية ودلالية تبعًا للسياق التداولي.

النحو الوظيفي يُثري فهم الظواهر الصرفية: إذ لا يمكن فهم دلالة "فعّال" أو "مفعول" بمعزل عن وظيفتها في الجملة وسياق النص.

التفاعل بين الصرف والنحو وظيفيًا يُسهم في تعميق التفسير البلاغي: خاصة في النصوص القرآنية والأدبية، حيث تكون الدلالة متعددة الطبقات.

إمكانية توظيف هذا التفاعل في التعليم: إذ يمكن تدريس الصرفيات العربية من خلال أمثلة وظيفية توضّح كيف تُستخدم هذه الصيغ في التواصل الحقيقي.

**التوصيات**

إدراج البُعد الوظيفي في مناهج تعليم النحو والصرف في المدارس والجامعات العربية.

تشجيع الدراسات التطبيقية التي تربط بين الصرفيات والنحو الوظيفي في خطابات متنوعة (دينية، أدبية، إعلامية).

تطوير أدوات تحليلية تدمج بين النموذج الوظيفي والخصائص الصرفية الفريدة للغة العربية.

توسيع نطاق التحليل ليشمل العاميات العربية، للوقوف على كيفية تفاعل البنية الصرفية مع الوظائف التواصلية في السياقات غير الرسمية.

**المراجع:**

درنوني، أسماء. (٢٠٢١). البنية والوظيفة من منظور النحو الوظيفي: دراسة تطبيقية في سورة مريم. مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، مج١٠, ع٢ ، ٧٧٣ – ٧٨٣.

سالم، محمد يزيد. (٢٠١٨). توليد الجملة في النحو الوظيفي: دراسة في البني وقواعد التكوين. مجلة العربية، مج٥, ع١٠ ، ٩٢ – ١٢٣.

شاهين، رانية أحمد رشيد، و الهادي، عبدالرحمن مضوي عبدالرحيم. (٢٠٢١). البنية المنطقية للنظرية اللسانية: ستيفن ر. أندرسون، جامعة ييل. مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، مج٥, ع١٣ ، ٩٠ – ١١٢.

عبدالرحمن، محمد ماهر محمد. (٢٠١٨). البعد الوظيفي للبنية الصرفية خطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا والتحذير منها أنموذجا. المجلة العلمية بكلية الآداب، ع٣٣, ج٢ ، ٩٠٢ – ٩٤٤.

الشريف، يحيى بن عبدالله بن حسن. (٢٠١٦). تعدد الوظيفة النحوية للصيغ الصرفية المشتركة: دراسة في القرآن الكريم برواية حفص. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج١٢, ع١ ، ٢٢٧ – ٢٥٨.

بودرامة، الزايدى. (٢٠٢٠). الوظائف الدلالية في النحو الوظيفي ومقابلاتها في النحو العربي. مجلة الممارسات اللغوية، مج١١, ع١ ، ١٣٩ – ١٦٥.

الشنقيطي، عبدالله بن مصطفى بن محمد. (٢٠١٦). علل البنية الصرفية: ظاهرة الإبدال أنموذجاً. مجلة سرديات، ع٢٠ ، ٣٨٥ – ٤٠٩.

حسانين، مصطفى محمد مصطفى. (٢٠١٥). البنية الصرفية للعبرية المعاصرة: دراسة في بناء الجذور. مجلة كلية الآداب، ع٤١, ج٢ ، ٧٠٩ – ٧٦٥.

يوسف، مجدي إبراهيم. (٢٠٠٩). البنية الصرفية و الإعمال النحوي: دراسة تطبيقية على صيغتي " فعال ، و فعالة " في ضوء الاستعمال و المادة اللغوية عند اللغويين العرب. علوم اللغة، مج ١٢, ع ٤ ، ١٧٣ – ١٩٨.

عمر، أبوحنيفة عمر الشريف على، و بشير، مبارك حسين نجم الدين. (٢٠١٦). البنية الصرفية فى نظر النحاة. مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، مج١٧, ع٢ ، ١١٢ – ١٢٠.

الحداريس، حنان محمد علي، و ربابعة، يوسف عبدالرحيم أحمد. (٢٠١٩). أثر البنية الصرفية في الإعراب: دراسة صرفية نحوية دلالية في رسائل الجاحظ (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة فيلادلفيا، البلقاء.

سليمان، رحب محمود احمد. (٢٠٠٥). صوت الياء بين البنية الصرفية والوظيفة النحوية. مجلة الدراسات العربية، عدد خاص ، ٣٦٧ – ٣٩٥.

ياشي، عبدالقادر. (٢٠٢٣). أثر البنية الصرفية في تحديد الدلالة التركيبية: قصيدة مأساة الثامن ماي ١٩٤٥ لمحمد العيد آل خليفة أنموذجا. مجلة الكلم، مج٨, ع١ ، ٨٩ – ١٠٣.

القريات، ماجد شتيوي دخيل الله. (٢٠١٩). التطور اللغوي في البنية الصرفية: الجموع نموذجاً. جذور، ع٥٢ ، ١٤٣ – ١٦١.

الفوال، محمد خير إبراهيم، و رخامية، خديجة مصطفى محمد. (٢٠١٧). نظرية النحو الوظيفي: النشأة والتطور. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٣٩, ع٤ ، ٣٠١ – ٣١٢.

مرات، خديجة. (٢٠٢٠). نظرية النحو الوظيفي: البنية والوظيفة. مجلة اللغة الوظيفية، مج٧, ع٢ ، ١٨٤ – ٢٠٠.

السيد، محمود أحمد. (٢٠١١). المنحى الوظيفي في تعليم النحو. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٦, ج ٣ ، ٦١٩ – ٦٤٤.

لعناني، عز الدين. (٢٠١٦). فلسفة الجملة في النحو الوظيفي. مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، ع٨ ، ١٩٤ – ٢١٣.

المتوكل، أحمد. (١٩٩٤). منهج الترجمة في النحو الوظيفي. أعمال ندوة الترجمة في الآداب والعلوم الإنسانية – الواقع والآفاق، أكادير: كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ابن زهر، ١٣ –

خفاجي، هديان عبدالعباس حسن، و مارون، جورج خليل. (٢٠٢٤). الوظائف الخارجية في النحو الوظيفي. أوراق ثقافية: مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٦, ع٣١ ، ٢١ – ٣٣.

عباس، إبراهيم خليل. (٢٠٢٠). التعلم الوظيفي للغة: النحو الوظيفي إنموذجا. مجلة جامعة بابل – العلوم الانسانية، مج٢٨, ع٦ ، ٢٧٦ – ٢٨٩.

الزركاني، آلاء عبد نعيم. (٢٠١٧). نظرات في النحو الوظيفي: قرينة المطابقة أنموذجا. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع٢٦ ، ٢١ – ٣٧.

مرات، خديجة. (٢٠١٩). الجملة الرابطية في النحو الوظيفي: مفهومها وخصائصها. مجلة الآداب والعلوم الإجتماعية، مج١٦, ع٣ ، ١٤٢ – ١٥٥.

بلقاسم، دفه. (٢٠٠٨). تعليمية النحو العربي في ضوء المنهج الوظيفي. مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع٤ ، ٤٥ – ٦٤.

كبوسي، هندة. (٢٠٢٢). تمظهرات الأنثروبولوجيا في نظرية النحو الوظيفي. مجلة دراسات وأبحاث، مج١٤, ع٢ ، ١٥٠ – ١٦٠.